الصورة النمطية للشخصية الجنوبية في الرواية العراقية
١٩٩٠-٢٠١٠

المدرس المساعد عالية خليل أبراهيم

جامعة المستنصرية / كلية التربية / قسم اللغة العربية

مقدمة:

يمثل حقل"الصورةالسردية"موضوعة مستحدثة أخذت تثير فضول الباحثين والنقاد في الأونة الأخيرة،وذلك لما تشكله "الصورة" من إغراء كبير في الدراسات السيميائية والتحليل الثقافي بوصفها خطابا بصريا ومن ثم لغويا يشغل أبعادا وظيفية متعددة ضمن سيرورة الإرسالية التواصلية الأدبية من النص الى الإحالة والمرجع ومن ثم الى القارئ الذي يكون له دور في تأويلها .

وهذا البحث محاولة في قراءة"الصورة النمطية للشخصية الجنوبية"في الرواية العراقية قراءة تناصية مع الصورة الفوتغرافية المرئية والتي تعد جزء"من الصورة الإيقونية

وسيمياء الاشهار،وبأمكانها ان تضيئ عالم المعنى الثقافي والاجتماعي والنفسي للشخصية،فالصورة النمطية"stereolypes"الثابتة اوالجامدة تعد وسيلة مهمة لإستثمار مركزية الرؤية البصرية في تحديد هوية الشخصية السردية وإنتاج المعنى ودراسة علاقات القوة داخل المجتمعات المختلفة.

أما مصطلح" الشخصية الجنوبية"فهو مصطلح وصفي متداول يربط الذات بالمكان يدمج هوية الانا بالاصل الجغرافي لمكان الولادة والنشأة مثل القول:شخصيةعراقية،شخصيةريفية،شخصية مدنية.

المقصود بالجنوب في هذا البحث،جنوب العراق ويشمل مدن دلتا وادي الرافدين الواقعة الى الجنوب من العاصمة بغداد.

Introduction

The term " narrative image" is a modern subject has attracted the curiosity of researchers and critics in the recently because the image represents a great importance in the semiotic studies and cultural analysis . Besides, the image can describe visual address and linguistically it owns various functional dimensions within the consignment literary communicative process beginning from text to meaning and reference and then to the reader who has a role in its interpretation.

This research is a try in reading " stereotype of south character " in the Iraqi novel as intertext reading with the virtual image which can shed light on the world of psychological, social, and cultural meaning of the character. The static stereotype represents an important means to invest the center of virtual vision in determining the identity of narrative character.

مفهوم الصورة :تعريف ومحددات

من أهم محددات الهوية الشخصية هي "وجه"،"والوجه ما تلتقطه العين،وما تحتفظ به الذاكرة،إنه موطن اللغة وزمنها،وموطن نظام رمزي يستعيد في الحياة اليومية إمتداداته في كل الأعضاء الاخرى"[١]،ويرتبط بوظيفة الإبلاغ البصري للعين مستودع الصورة.

إنَّ طاقة التمثيل والتشخيص التي تجعل الغائب حاضرا ومحسوسا إسلوب لاغنى للتواصل التشكيلي والأدبي عنه،فالإنسان يمارس إحساسه في عالم ويمارس تسمية الأشياء في آخر"هكذا تأسّف مارسيل بروست اللون سابق على الكلمة بزمن غير يسير"[٢].

بداية هنالك فرق بين الصورة الفنية والصورة الأدبية،الصورة بمفهومها الفني التقني"هي إستعادة لجزئية من فضاء ممتدوفق معايير تلغي الزمان باعتباره مدى محسوسا او تعاقبا في كل شئ،كل صورة هي في الاصل نفي للزمن"[٣]. إنَّ للصورة طريقتها المستقلة في التأثير والاقناع فهي تداهم الوجدان وبشكل مباشر لإرتباطاتها بالحواس على عكس المضمون اللفظي الذي ستدعي طولية في الزمان،أما الصورة الأدبية فهي"إجراء واع يعوض به الإتصال الأدبي تفاصيل العالم التجريبي في حالات ومواقف لا يصبح فيه التعبير بغير الصورة بالدرجة نفسها من التأثير والفعالية"[٤].

أما الصورة بالمفهوم السيمولوجي علامة دالة تعتمد على منظومة ثلاثية من العلاقات "مادة التعبير وهي الالوان والمسافات،واشكال التعبير وهي التكوينات التصويرية للأشخاص والأشياء ومضمون التعبير وهو يشمل المحتوى الثقافي للصورة"[٥].

"جان موكارفسكي" يقول : تستند الصورة الى ثلاث عناصر" الأول هو رمز محسوس خلقه الفنان، والعنصر الثاني" موضوع جمالي" مودع في الوعي الجماعي، أما العنصر الثالث فهو علاقة تربط بين العلامة والشيء المشار اليه وهذه العلاقة تحيل الى السياق الكلي للظواهر الاجتماعية"[٦].

---

[١]-الصورة المكونات والتأويل /غي غويتي،ترجمة وتقديم سعيد بنكراد/ مقدمة المترجم/١٨

[٢]- حياة الصورة وموتها/ريجيس دوبري،ت فريد زاهي/٣٩

[٣]- الصورة المكونات والتأويل/٧

[٤]- الصورة والثقافة والاتصال/محمد العبد،مجلة فصول /العدد ١٥٣/٦٢

[٥]-قراءة الصورة وصور القراءة/صلاح فضل/٦

[٦]-معجم السيميائيات/فيصل الاحمر/ سيمياء الصورة/١١٩

يستنتج مما ورد أنَّ الصورة سيميائيا تتشكل أولا من علامة تشكيلية أو لغوية ،وثانيا من المدلول والذي يعد صورة ذهنية يتدخل الوعي في صياغتها،.اما البعد الثالث للصورة وهو البعد "المرجعي أو السياقي" فهو يركز على الصورة بوصفها انتاجا للمعاني الاجتماعية و سننا ثقافيا مشتركا للأجناس والجماعات "إنَّ الوقائع البصرية عامة والصورة خاصة تشكل لغة مسننة أودعها الاستعمال الانساني قيما للدلالة والتواصل والتمثيل"[٧].

هذا فيما يخص الصورة الفنية أما الصورة السردية فتعد جزء" من الصورة الذهنية التي يصفها"آيزر"بأنها لا تكون نتاج ادراك بل تمثّل" ينطوي الإدراك على الوجود المسبق لموضوع معطى فيما يستند التمثل من حيث تأسيس انطلاقه دائما على عنصر غير معطى،بناءً عليه على القارئ تشييد التمثل انطلاقا من النص"[٨].

يتحدث الباحث "شرف الدين ماجدولين" عن اتساع دلالي في تحديده للصورة السردية وذلك لإنقسامها بين المدرك والمحسوس"الصورة السردية بما هي معيار أصيل للقراءة متعدد الايحاءات وذو مرجعيات ذهنية وحسية تمتد في مجالات الواقعي والتخييلي،الحسي والمجرد،المرئي واللامرئي قبل أن تتحول الى جمالية اسلوبية مفتوحة على مطلق التعبير الادبي".[٩]، نلاحظ أن الكاتب تعامل مع الصورة السردية بوصفها صورة ذهنية أقرب للتجريد من المحسوس ولم يشر للأبعاد التناصية التي من الممكن أن تسهم في تبيان جماليات الصورة السردية واكتفى في دراسته في التأكيد على بلاغة التعبير وتقنيات المسرود.

إنَّ بلاغة التعبير السردي بوصفه صورة ذهنية مرتبطة بتفعيل الذاكرة والإدراك للقراءة والتأويل مسألة رئيسة في دراسة جماليات الخطاب بيد أن الأبعاد التناصية لمقاربة الصورة الأدبية بين خطابات مختلفة منها الإعلام والإشهار والتسويق والمشهد والسيناريو والمسرح والسينما واللوحة التشكيلية واستثمار سردية الأحلام هذه الأبعاد تلامس بلاغة الخطاب السردي وتركز مصطلح الصورة بكونها علامة مرئية قبل كل شيء كما وأنها تكشف عن الوظيفة التصويرية للغة الأدبية إسلوبا وبلاغة وخطابا ثقافيا وبما يوازي المحمولات الدلالية للصورة المرئيةضمن ما يعرف بالثقافة البصرية وأثرها في رسم ملامح الشخصية الروائية والتي تعرف بأنها"علامة على الشخصية الحقيقية فبطل الرواية يعد شخصا في الحدود نفسها التي يكون فيها علامة على رؤية ما للشخص"[١٠] .

[٧]-معجم السيميائيات/١٢٠
[٨]-أثر الشخصية في الرواية/فانسون جوف،ت:لحسن لحمامة/٥
[٩]-الصورة السردية في الرواية والقصة والسينما،شرف الدين ماجدولين/١١
[١٠] -ينظر بنية النص السردي ،حميد لحمداني/٥٠

الدراسة الأثنوغرافية للمجتمعات يمثل التحدي الأهم لدراسة الصورة السردية في الرواية،وهي المهمة التي يحاول هذا البحث مقاربتها.

الصورة النمطية للشخصية:

عند مقاربة الصورة الشخصية بما تمثله من هوية للأفراد والجماعات الإثنية والثقافية تتبين أهمية دراسة" الصورة النمطية" تحديدا؟، في بحثها" دراسة الثقافة البصرية" تقول ايريت روجوف،" عند دراسة الثقافة البصرية في الخطاب يجب أن نركز إهتمامنا على الصور النمطية"stereotiypes" الجامدة أو الثابتة حول النوع وعلى علاقات القوة داخل الثقافة"[١١]،الصورة النمطية هي الأخرى صورة ذهنية لكن وسائلها للوصول الى المتلقي تستند على سيميائيات الإشهار والدعاية لذلك تكون نتاج الإدراك والتمثل معا، مفهوم "الصورة النمطية" طرحة الصحفي الامريكي"والترليبمان" في كتابه "الرأي العام" ويعني الصورة المحددة الثابتة في عقولنا،والتي تقاوم أن تتغير بسهولة[١٢].

الصورة النمطية المقننة بداية في مجال"الإعلام" بداية هي الأقرب للتشخيص" إذا لم تقم بالترميز عليك بالشخصنة،"[١٣]،يتمثل التشخيص برسم معالم الجسد وهو مكان التوسط الرئيس بين الذات والعالم،ومن ثم وصف هيئة وفعل الشخصية. وتتميز الصورة النمطية بأستخدامها الشعار،والعبارات الموجزة، وسهولة العرض،الوضوح والاستقصاء،الطابع الدعائي.[١٤]

يخضع رسم الصورة الشخصية لكفاءة المرسل اليه ضمن سجلين أساسيين:أولا الخارج –نصي أو المرجعي، فالصورة تختلف عن الكتابة بكونها لا تميز بشكل جيد الإرسالية عن المرجع،فالصورة تميل أكثر نحو التعليل وليس الإعتباطية مثل اللغة،"والتعليل يدعو لاكتشاف المسلمات والدوافع والخصائص الثقافية المستبطنة التي تؤثر على الذات المتلفظة في غفلة عنها"[١٥]الصورة دائما ما تكون مشبعة بالمعنى،ويكون المرسل اليه مجبرا على تحيين مرجعية النص من خارجه.

ثانيا: البعد التناصي،فالشخصية لا تقتصر على ما يقوله النص عنها بل تكتسب محتواها من التمثيلي في تداخلها مع صور أخرى،اذا كان النص فسيفساء من الاستشهادات، فأن كفاءة القارئ وخبرته في استنطاق النصوص اللفظية وغير اللفظية دائما ما تصحح معرفته للشخصية" من خلال التناص يمكن قراءة كل من

[١١] مجلة فصول١٤٦-
[١٢] -ينظر موسوعة علم الاجتماع،جوردن مارشال،/ترجمة وتقديم محمد الجوهري /المجلد الثاني/٣٠٢
[١٣] - حياة الصورة وموتها/٧٠
[١٤] -ينظر معجم السيميائيات/سيمائية الاشهار ١١٤/ ١١٧
[١٥] - الصورة المكونات والتأويل/٣٦

الصور والأصوات والتخطيطات أو التوصيفات المكانية عبر الوسائل الاخرى،كما يمكن اضاءة مستويات متراكمة من المعاني والاستجابات الذاتية"[١٦].

سوف يتم التطرق لنوعين من انواع من الصور النمطية هما: الصورة الفوتوغرافية الشخصية" و"صورة الفضاء" المكاني والبيئي والمناخي وهي اقرب للصورة"الوثائقية".

أ- الصورة الفوتوتغرافية للشخصية الجنوبية:

الصورة الفوتوغرافية علامة ايقونية لانها تقوم على التشابه، وقد كانت تنتمي لفترة طويلة لفن الرسم لكنها تمتاز بالتحميض وسحب الصورة الذي يمكنه تغيير الدلالة،وبفضل الة التصوير أصبح إنتاج الصور أسرع من الرسم،وقد غزت معظم وسائل الإعلام من صحافة،وموضة، واشهار.[١٧]،والفوتوغرافيا نسق سيميائي مكون من دال ومدلول وعلاقة تجمعهما،يذهب"بارت" الى تسمية العلامة الفوتوغرافية الى نسق سيميائي أولي،والاسطورة نسق سيميائي ثان" يصبح الاول دالا وهو صورة الشيء والثاني مدلولا وهي قراءة علامة الشيء وفق نسق ايديولوجي"[١٨].

الإشهار في أدق تعريفاته هو"نسق تواصلي يجمع بين منتجين ومستهلكين بواسطة وسائل التواصل الجماهيري"[١٩]،وظيفته الرئيسة هي التأثير في معتقدات وأحاسيس ومواقف المستهلك.

تتشكل الصورة الفوتوغرافية من عنصرين رئيسيين هما"المجال والإطار"، يمثل المجال تلك الجزئية التي يتم تمثيلها" المجال في الأصل هو فضاء محدد في العمق"[٢٠]،أما خارج المجال"حافته" فهو الاطار،وفي حالة الصورة الفوتوغرافية هنالك نوع من التناظر بين المجال والاطار"مجال الصورة هو ما يتم تمثيله داخل الاطار الذي يختاره المصور".[٢١]

السؤال الذي يطرح هنا،كيف يمكن ضبط المجال والاطار داخل الصورة السردية؟.

الصورة السردية بوصفها غير مرئية وتمثلها يكون ذهنيا وخاصا بقدرات التلقي لا تتطابق مع الثقافة البصرية لكنها قد تتقارب حيث أن اللغة قادرة على تشييد نظامها الوصفي المميز،فمن الممكن القول: إنَّ"مجال الصورة السردية" هو الوصف الظاهراتي المخصص للشخصية،أما الإطار فيكون كل ما هو خارج الوصف من تعليقات الراوي والإشارات اللغوية من وقفة وفارزة وتنقيط،وكذلك كلام الشخصية

[١٦]-دراسة الثقافة البصرية/ايريت روجوف،ت:شاكر عبد الحميد/مجلة فصول/١٦٤

[١٧]- ينظر الصورة والثقافة والاتصال/محمد العبد، مجلة فصول/١٤١ ،ومعجم السيميائيات/فيصل الاحمر ١٢٠

[١٨]-معجم السيميائيات/١٢٠

[١٩]-الاشهار والصورة صورة الاشهار،دايفيدفيكتروف،،ت سعيد بنكراد،١٩

[٢٠]-الصورة المكونات والتأويل/٤٧

[٢١]-نفسه/٤٧

المباشر وغير المباشر،وبذلك يكون التفريق بين الوصف والسرد هو ما يشكل أهمية في تلمس البعد التناصي بين الصورة الفوتوغرافية واقعا والصورة الادبية تمثيلا.

الصورة الفوتوغرافية صورة نمطية تمثل الواقع لكنها تقلصه من حيث الحجم والزاوية.

يعد تقديم الشخصية من خلال الوصف الخارجي المباشر"صورة ثابتة" أولوية من قبل السارد فهو" يريد ان يتعرف القارئ على الشخصية قبل أن يبدأ بقراءة قصتها،يستند التقديم الى عناصر واقعية تكفي لان تمنح الشخصية هوية أحوال مدنية.

في دراسة الصورة الفوتوغرافية للشخصية الجنوبية،ومن خلال الإستقراء يمكن رصف الصور التي جمعت قصاصتها من الروايات متفرقة ومن ثم لصقها جنبا الى جنب بغية استكمال الصورة وإطارها ومحاولة قراءة السنن الثقافي الذي التقطت من زاويته.

صورة المثقف الجنوبي:

المثقفون بحسب تعريف هابرماز"محترفو الكلام والكتابة والإستبطان والعمل العقلي إنهم يعرفون أساليب النشر،فكيف نعجب بعد ذلك إذا ما اتخذوا بوفرة أنفسهم موضوعا لخطابهم الخاص"[٢٢].

الراوي في" رياح شرقية رياح غربية" وصف شخصية المثقف "حسين طعمة"،فقال عنها:

"**العظام الناتئة تحت جلد وجنتيه فبدا لك أكبر من السن الذي ذكره بنحو عشر سنين،كان في عينيه ذلك الوميض الذي ينم عن الزهو والاعتداد بالنفس**"[٢٣].

صورة تمثل هموم المثقف وأزماته من زاوية وتعبر عن علاقة الراوي مع الشخصية، فهنالك تطابق بين ايديولوجيا الراوي وايديولوجيا الشخصية الموصوفة فيتماهى مع صورتها،لكنّ راويا آخر يفصل نفسه عن الشخصية فيصفها بالقول"**انه قمئ وقصير،منظره يوحي بالهزء،ولم أصدق عند المقارنة بين ما سمعت من أساطير تحكى عنه وهذا الذي يمرق امامي ويثير اشمئزازي**"[٢٤].

علاقة السارد بالشخصية تحدد زاوية التقاط صورتها محبة أو كراهية أو حيادية في احيان أخرى .

من بين الصور التي التقطها الراوي لنفسه وفيها انعكاس واقعي على شخصية المثقف الجنوبي،راوي "كراسة كانون" يصف نفسه "**كنت الف عنقي بكوفيتي الحمراء المرقطة، حررت سترتي من أزرارها كي تتعبأ بالبخار والعبير**"[٢٥]،صورة فوتوغرافية لمثقف جنوبي" في التسعينيات لا يظهر وجهه"هويته"ولا يميز هيأته ملمح محدد عن غيره من العامة،فالصورة تدلل على تشابه الملبس ومن ثم تقارب شخصية المهمش من نظيره المثقف بذلك التجاور بين السترة المدنية مع الكوفية الريفية.

---

[٢٢]-سوسيولوجيا المثقفين،جيرارليكرك/ت: جورج كتورة/١٥

[٢٣]-رياح شرقية رياح غربية/مهدي عيسى الصقر/١٦

[٢٤]-جدد موته مرتين/حميد الربيعي/٥

[٢٥]-الرواية/٩١

أما بقية اطار الصورة" إنفتاح الأزرار،تشبيه بخار الطعام بالعبير"، فهي تحيل المتلقي الى حقبة الجوع التسعيني وتمثل البهجة لمجرد استنشاق رائحة الطعام ورؤية مشهد قدور الطبخ.فوظيفة الصورة الشخصية في هذا النوع من الوصف تمثل تعريفا بهوية المثقف في تلك الحقبة.

ذات الهيأة المضطربة بين نسق تقليدي وآخر حداثي جديد" " البسوك سترتك البنية،ولفوا حول رأسك كوفية قديمة،كنت مثل فزاعة للطيور رجل قارب الثلاثين في هيئة فزاعة للطيور"[٢٦].

لقد مثل تبديل الهيئة عقدة البطل "المثقف"المأزوم والمطارد بسبب افكاره السياسية،أو بسبب ازماته الوجودية والنفسية فهو في حالة بحث محموم عن هويته المستلبة " **بروز جداريتي الضوئية الكبيرة،وعلقها في ليلة حالكة الظلام،فأستيقظ الناس في منطقة الحيانية،على صورة انسان مطعّم أو هجين لا اسم له وابعاد وجهه غير مضبوطة لكنه حزين"**[٢٧]

تبقى للمثقف "الاديب" صورة إجتماعية متواترة في ذهنية المتلقي،ومنها صورة الناقد" **عبد الجبار محمد**" "**في البارات الرخيصة،وتلك الباذخة التي افتتحت حديثا،وحدي أدمدم بين كأس عرق ومواعين من الحمص المسلوق ورأس خس ريان وأنا أنوي كتابة مقدمة لمجموعة قصصية**".[٢٨]

تعد جلسات السكر وذكر الخمرة والتغزل بنشوتها صورة نمطية مميزة لشخصية المثقف **العراقي عموما** "**أنتما ضيفاي النبيذ لكما ولي حليب السباع،كان أمامنا عدد من الصحون الصغيرة،تناولت ثلاث حبات من صحن الزيتون،جلب لنا صديقنا الرسام قطعة كافية من اللحم المسلوق**".[٢٩]

إنَّ صورة الخمرة وجلساتها في حقبة رواج الايديولوجيات الحزبية تعد"مظهرا ثقافيا واجتماعيا لدى طبقات وفئات اجتماعية معينة في المدينة،رافق التطورات الجديدة التي شهدها المجتمع".[٣٠]

في كتابات الرجل لا نعثر على صورة فوتوغرافية للمرأة "المثقفة" بالمعنى الدقيق للكلمة أي ما يمكن ان نطلق عليها" محترفة الكلام" أو "صانعة الافكار"،قد تكون ثقافة المرأة ذات مدلول قدحي من وجهة نظر الراوي؟،"**رنت الي بنظرة قاسية من عينين لوزيتين أبرز الكحل اصفرار حدقيتهما الساطعتين..يا الهي جميلة ومثقفة؟ ذلك فوق ما كنت اتوقع**".[٣١]

لذلك فبالوسع الكلام عن صور متعددة للمرأة" المتعلمة أو العاملة او أبنة المدينة" في كتابات الرجل بشكل أدق وأوضح من الكلام عن صورة المثقفة،وأغلب تلك الصور المقدمة للمرأة تكون حسية إشهارية قريبة من صور النساء على أغلفة المجلات" **ذلك الوجه الذي طالما ذكرني بصور النساء على اغلفة المجلات**

[٢٦]-اشواق طائر الليل/مهدي عيسى الصقر/١٥الرواية سيرة ذاتية للشاعر بدر شاكر السياب
[٢٧]-مكنسة الجنة/مرتضى كزار/٢٥
[٢٨]-الغلامة/عالية ممدوح/٢٢٤
[٢٩]-موت الاب،أحمد خلف/٧٥
[٣٠]-الشخصية في ادب جبرا ابراهيم جبرا/فاطمة بدر/٦٥
[٣١]-سابع ايام الخلق،/عبد الخالق الركابي/١١

الاجنبية"[٣٢]،الفتاة الارستقراطية في النصف الاول من القرن العشرين تبدو بالشكل" **امرأة مغرية بوجهها المزوق المعتنى به مدة طويلة، وبنظراتها وحركاتها المحسوبة،وبشعرها الذي سرح على شكل خوذة جندي،وبثوبها الفاضح لمفاتن جسدها**"[٣٣].

فتاة عقد الثمانينيات **فتبدو كالتالي** "**كانت ترتدي تنورة من الجينز وقميصا أبيض خلف الحشد،حيث وقفت انا،القامة القصيرة التي لا تتجاوز المتر والستين،الوجه الدائري،الانف المفلطح –الاقجم– الفم العريض بالشفاه العريضة،الشعر الأشقر الغامق الطويل المجعد،العينان الخضروان،المؤخرة البارزة**"[٣٤].ليس هنالك صورة فوتوغرافية تلتقط بهذا الاستغراق والنهم في مفاتن الجسد الانثوي مثل ما ورد،!.

صورة المهمش الجنوبي:

خلافا لشخصية المثقف الجنوبي الذي لم يبدو عليه ملامح وجه واضحة ومحددة عن غيره،تلتقط وبوضوح صورة المهمش؟،قد يعود ذلك الى أن الروايات التي كان البطل فيها مهمشا او من العامة قد سردت بأسلوب "الراوي العليم" والذي أمتلك رغبة أوسع في توصيف شخصياته،فالراوي المشارك،وفي روايات السيرة الذاتية الحقيقية او المتخيلة لا يحبذ البطل وصف شكله او هيئته.

"سلمان العبد" قدمت صورته بالشكل التالي:" **انى للشياطين ان ترى جسد سلمان الاسود ليلا؟جلده المخطط بخطوط ملحية خلفتها امواه نهر الخندق،عيناه الحمراوتان،فهو مذ كان صغيرا،كانت أمه ترش دقيقا كالتراب في موقيه،حتى صارتا كعيني الحصان الميت**"[٣٥].

صورة سلمان قدمت شكله للمتلقي ومن ثم قاربت حالته السيكولوجية وطبقته الاجتماعية،فشخص بهذه المواصفات،كيف ستكون صورته عن ذاته الوضيعة؟ هل يتقبلها؟كيف سيعامله الاخر؟وكيف سينظر هو الى الاخرين؟ الأجابة عن تلك الاسئلة كانت موضوع الرواية.

"نعيم الجويسم"،زعيم الفتيان الشطار يصفه الراوي" **نعيم بدشداشته التي كادت تفقد الوانها في مواضع عده،حزامه العريض الذي يشبه احزمة الجنود،طاقية رأسه**"[٣٦]الصورة وان كانت لا تخلو من طابعها المحلي لملابس الفقير المعتوه الا انها اقرب للصورة التراثية حيث فيها تناص مع صور ابطال المغامرات في الحكايات التراثية مثل صورة"علي بابا" في قصص الليالي.

---

[٣٢]-ايوب/٥٦

[٣٣]-ايوب/هشام توفيق الركابي١٠٥

[٣٤]-الرواية/٨٦

[٣٥]- ياكوكتي/جنان ناصر حلاوي /استجمعت الصورة من عبارات متفرقة من صفحة٣٧ الى ٤١

[٣٦]-المقطورة،/محمد شاكر السبع/٩

صورة مشابهة للسابقة "**كان سوادي يرتدي دشداشة بيضاء شدّ عليها نطاقا التصقت به سكين مغمدة،حين اقترب من سلمان اليونس انزل الطبل من كتفه وركنه الى الجدار**"[٣٧].

صورة لحلب بن غريبة" **يدخل شاب اسود سوادا شديد السحنة،يعتمر كوفية متسخة،يتلفت في مشيته وهو يرسل نظرات زائغة بلهاء بينما يستقبله بعض الجمهور بهمهة ضحك**"[٣٨].

نشاهد ثمة مشتركات عديدة لصورة المهمش الجنوبي،منها قبح الشكل،وهذا الملمح لا يمثل الواقع بقدر ما يمثل وجهة نظر الراوي الذي يحكم دائرة البؤس الاجتماعي مضيفا اليها الشكل،وايضا الهيأة الرثة، لبس الدشداشة،الحزام،كما ويبدو المهمش اكثر تفاؤلا وحبا في الحياة من المثقف من خلال حب الغناء واللهو كماهو واضح في صورة،"حميد سوادي" .

هنالك صورة معبرة لامرأة قروية يعود تاريخهال اربعينيات القرن الماضي" **تنوء بحمل ثقيل من الروث الجاف حتى أنه أحنى ظهرها وقد غطى الطين والوحل قدميها الحافيتين**".[٣٩]،

صورة مغرقة في البؤس والحرمان وذلك بسبب الاستبداد السياسي والاجتماعي بحق المرأة.

صورة لفتاة الريف كلثوم" **وجهها الدائري المؤطر بالفوطة لايزال يحتفظ بجماله القديم،وعيناها السوداوان تحمل حزنا دفينا لا غور له، ترمقني بدلال وعلى وجهها خفر العذارى**".[٤٠]

الراوي في وصفه للمرأة الفقيرة او الريفية يركز على المرأة"الانثى" وليس على الانحدار الاجتماعي والوضع الطبقي كما يصف الرجل، فيصفها وصفا حسيا شكليا مبينا جمالها، لذلك لا فرق كبير في الصورة بين المرأة المتعلمة والريفية في وعي الراوي الجنوبي الا في بعض مظاهر اللباس عند الريفية مثل"لبس الفوطة" والبدانة" أو مظاهر الخجل والحياء.

صورة الاب الجنوبي:

لا تكاد تخلو رواية تتحدث عن الجنوب من تجسيد للأب او ذكر له،لما تمثله هذه الشخصية من محمولات اجتماعية وثقافية ورمزية مؤثرة في تشكيل هوية الإنسان الجنوبي، ولست أجانب الصواب اذا قلت ان كلمة "الاب" مرادفة لمفهوم"الجنوب" مع اختلاف الدال البايولوجي في الاولى عن الدال الجغرافي ثانيا لكنهما يلتقيان في مدلول السلطة المطلقة والاعتقاد بالجذور وتقديس الذكورة علامة للخصب والقوة.

وقد تعددت صور الاب على المستويين الواقعي والرمزي وتميزت بالمشهدية المعبرة عن السنن الثقافي في التعاطي مع سلطة الاب الجنوبي،اما الصور الفوتوغرافية فهي اقل من المشهدية،ومنها

---

[٣٧]-خلف السدة/عبد الله صخي/١٩

[٣٨]-الصليب/فهد الاسدي/١٠٠

[٣٩]-الغبش/شاكر المياح/٨

[٤٠]-ايوب/٢٤

صورة والد"سليم مطر" تظهر بالشكل التالي" **طويل القامة،رشيق منتصب،بشرته سمراء بلون القهوة،عيونه واسعة بنظرات صارمة متفكرة تزيد من جمال ملامحه الرجولية،الصاية والسترة والعقال حول اليشماغ المرقط ابيض واسود فكان يبدو مهيبا مثل امراء العرب**"[٤١].

صورة لحياوي والد وداد" **اب عسكري لا يتردد كثيرا على البيت،صياد قديم،واحيانا عضو في فرقة موسيقية، جسمه مخطط بأوشام وعلامات**"[٤٢]

الصور الماثلة تبين صورة الاب الجنوبي بما يمثله من هيبة وأصالة،بالمقابل هناك صور أخرى تعكس مداليل اخرى عن ذلك الاب؟.

الساردة الجنوبية فقد وصفت والدها بالصورة التالية" **يثرد الخبز الطالع من التنور للتو ويبدأ رافعا كم دشداشته الى اعلى،كان الطعام احد رموز السلطة،سلطته،فيلاحقه،يطيعه وهو يفصص اللحم بالتساوي على الجميع،فأشعران قلب ابي سيتوقف عن الخفقان،عيناه تصابان بالعمى عن امرين الاكل واللذة**".[٤٣]،تلك صورة فوتوغرافية نمطية بليغة للأب الجنوبي التقليدي،حيث شهوة الطعام علامة مهمة ليس فقط بوصفها رمزا لسلطته المطلقة وانما لشخصيته الشهوانية كذلك.

هنالك صور وصفية"فوتوغرافية" جمعت الاب بالابن،وظهرت بالشكل التالي" **يصفعني أبي وأنا معلق في الغصن وينتزعني ويكاد يطوح بي الى الرصيف الحجري امي تحميني بذراعيها القويتين من لطمات ابي وهياجه**"[٤٤] .

وصفعة أخرى تختلف في رمزيتها عن السابقة" **لا يدري عبد الحسن لماذا اتجه الى ابيه ولمس عضوه،فما كان منه الا أن صفعه بقوة وأمره بالخروج فورا من البيت**"[٤٥].

صورة لصبي يعنف من قبل والده "**ما غادرت الصياط ظهري كان والدي يربطني الى الحائط ويرتمي بكامل جثته التي تشبه جثة الكركدن فوق وجعي احاول الافلات احاول الارتماء بين عيني امي واتوسل "العباس" أن يحضر لنجدتي.**[٤٦]

تعبر الصور الثلاث السابقة عن" عقدة الاب" في وعي الشخصية الجنوبية،فالاب الجنوبي القروي التقليدي يسئ استغلال سلطاته الواسعة التي اباحها له المجتمع الذكوري فدائما ما يعنف زوجته وابنائه بالضرب ويضطهدهم بالمعاملة،وبذلك تتكون عقدة الاب"السلطة"عند الجنوبيين عموما!.

---

[٤١]-اعترافات رجل لا يستحي/سليم مطر/٣٤
[٤٢]-مكنسة الجنة/مرتضى كزار/٢٨
[٤٣]-الغلامة/١٢٣
[٤٤]-يوم حرق العنقاء/محسن الخفاجي/١٠٢
[٤٥]- الحرب في حي الطرب/نجم والي/١٢٣
[٤٦]- شروكية/شوقي كريم/١٣

أما الصورة" لمس عضو الاب" فقد مثلت لحظة اكتشاف في حياة الطفل"عبد الحسن" لقوة الفحولة وهي اللحظة التي تحدد علاقة الجنوبي بعنصري الانوثة والذكورة جنسيا وثقافيا.

صورة الام الجنوبية:

حضرت الام في الصور السابقة بوصفها المنقذ من بطش الاب ،مما يشير الى تناقض واضح بين صورة الاب القاسي والام المتسامحة،وذلك يسبب انشطار وازدواجية في تفهم وتمثل الوعي بأدوار كلا الجنسين في الحياة ومن ثم يؤدي الى إزدواجية الشخصية الجنوبية ذاتها.

صورة الام تبرز كماسيأتي:" **والدتي التي اعتمر رأسها بالعصابة السوداء،وسترت صدرها بالشيلة الواسعة التي افترشت كتفيها وصدرها وظهرها كجناحي نورس عريضين**"[٤٧].

صورة اخرى للأم" **أرى امي تتحزم ضوء التنور،وسعف النخيل يدفئ ظهيرتها الساخنة،تحدق في عمق التنور،عن ماذا تبحث وسط النيران؟ عن فقر اكثر من حال مدينتنا**"[٤٨].

صورتان تعبران عن ملامح الشكل والهيئة للأم الجنوبية وشئ جميل لصيق بتلك الام وهو" التنور" بما يمثل من دفء وحنان ورعاية،بالاضافة الى البؤس اللصيق بالانسان الجنوبي.

وصورة مشابهة لام "علي" " **لطمت خديها وصدرها وشقت زيجها،ثم وهي تزيح فوطتها لتدفن شعرها بالتراب خلعت قرطها بأصبعها المتوترة فخرمت اذنها وسال الدم من عنقها**".[٤٩]

صورة اشهارية واقعية شائعة للأم الجنوبية الصائحة النائحة وريثة الهموم والنكبات.

الاختلاف الواضح بين صورة قسوة الاب وما يقابلها من صورة ضعف الام تركت اثرا واضحا على الشخصية الجنوبية فبينما يمثل الاب الشخصية الاجتماعية والسياسية للجنوبي"القوة والتسلط" تمثل الام عالمه النفسي الهش والضعيف.

صورة الجنود ورجال الامن:

من الصور الطريفة التي تكررت في روايات عدة صورة نائب الضابط والعريف،وهي صور ذات مضمون تهكمي ساخر موجهة من قبل الجندي الذي يكره هذه الشخصية ويحاول أن يقدمها كاريكاتوريا " **مد يده الى شاربيه وابتسم،هز رأسه منتشيا كديك رومي،كان نائب الضابط حميد على قناعة بأن لديه القوة الكافية للتفوق على زوجته رغم نحافته التي تشبه المصابين بالتدرن**"[٥٠].

[٤٧]-مستعمرة المياه/جاسم عاصي/٢٤

[٤٨]-شروكية/٢

[٤٩]- خلف السدة/١٧

[٥٠]-الحرب في حي الطرب/١٩

صورة للعريف "كريم عبد العباس"" **بعينه ووجهه الذي أحرقته الشمس وقسماته الحادة وشاربه الكث الذي يشبه ذيل قطة متوحشة أفنت عمرها بسرقة طعام الجيران واللهاث فوق الاسيجة**"[٥١].

يقدم اخر صورة " لعصا المفوض" لانها العصا هي شخصية رجل الامن"رمزا"

" **تناول السم الاصفر من عصا احمد جبار فقد سميت عصاه بالعصا الصفراء،لا يمكن تصور واقع عصاه،بارع في الضرب على الرأس وعلى القفا.....**"[٥٢].

اما صورة المسؤول الحزبي في الثمانينيات والتسعينيات فقد كانت الاشد تهكما وسخرية.

من غيرها "**عندما فتحت الباب، شممت رائحة بصل كريهة تختلط مع رائحة ثوم حادة اتت حينما أقترب مفوض الامن شاهين نزال،بفمهمني،وقبلني يمينا ويسارا**"[٥٣].

" **أجلس في غرفة الرفيق " أبو وفاء" وأتابع كتل بطنه الشحمية وهي تسيل من فتحات كرسيه البلاستيكي الابيض،وسأتذكر هذا المشهد حينما أسمع من الناس أنهم وجدوا جثة أبو وفاء هذا مرمية على جسر من جسور العشار**"[٥٤]

أكدت صورة رجل الأمن والمسؤول الحزبي على العيوب والتشوهات البدنية والمفارقات في الكلام والتصرف، وهي تعبر عن مدى كراهية الراوي لهذه الشخصيات.

صورة رؤساء العراق:

تمثل الصورة الفوتوغرافية من ناحية مدلولها نسقا ايديولوجيا فلا شك أن صورة الاخر تعبر وبقوة عن وجهة نظر الراوي تجاه المختلف وخاصة اذا اخذت تلك الصورلرأس السلطة السياسية وهو"الرئيس" فهي الصورة الرمزية الاوضح لعلاقته بالاخر ومن ثم بالسلطة الحاكمة.

الملك فيصل الاول الذي قتل شابا تبدو صورته بالشكل التالي" **وجه طفولي الملامح وكأنما أرغم مبكرا على هموم الكرسي**"[٥٥].صورة تعاطف مع الملك الشاب الذي لم يحكم الا قليلا.

أجمل صورة لرئيس عراقي عاشت في وعي وذاكرة الشخصية الجنوبية بشكل عام وعلى الشخصية النازحة من الجنوب الى بغداد على وجه الخصوص وبمحبة كبيرة هي صورةالزعيم""عبد الكريم قاسم"،لقد احب الرئيس الجنوبيين وبنى لهم مدينة في بغداد ليستقروا فيها،فأحبوه كثيرا واخلصوا له،لذا تظهر صورته

---

[٥١]-اقصى الجنوب/٦١،في هذه الرواية، وفي" الحرب في حي الطرب" يذكر ان شخصية العريف او نائب الضابط تنتمي في اصولها الى مدينة الناصرية، لما رسخ في الذاكرةالجنوبية من كثرة اعداد نواب الضباط فيها وهنالك مقولة شعبية تشير الى ان الناصرية هي "مدينة المليون عريف".

[٥٢]-نفسه/٢١

[٥٣]-تل اللحم/٢٣٦

[٥٤]- مكنسة الجنة/٣٩

[٥٥]-الصليب/٩٧

محببة ولطيفة" **جلب عبد الحسين صورة مزججة لرئيس الوزراء وهو يبتسم ويرفع يده بالتحية،علقها في الغرفة التي سكنتها فاطمة وزوجها**"[٥٦].

أما صورة مصرعة بعد انقلاب ١٩٦٣،فقد ختمت ذاكرتهم بحزب طويل على فقدانه وبكراهية كبيرة لقتلته"**بكى علي،بكى كما لم يبك على احد من قبل،وظل يتذكر مشهد الجندي وهو يبصق في وجه رئيس الوزراء ،لعدة سنوات بكت البلدة وابقت على صور رئيس الوزراء معلقة فوق جدرانها**"[٥٧]، ذات الصورة حادثة مصرع الرئيس وحزن الفقراء على رحيله تكررت في رواية اخرى"[٥٨].

الرئيس العراقي الذي ظهرت صورته سلبية مثيرة للكراهية هو" صدام" مثل هذه الصورة "**عندما القى خطابه بعد أسبوع من الحرب،وكان للمرة الاولى يضع نظارة لقد اثاره ذلك الامر بلا شك وظن ان هناك ما يريد ان يخفيه من خلال النظارات، أو أراد ان يضفي على نفسه وقارا لا يملكه**"[٥٩]. الصورة حشدت سلسلة من العلامات السلبية،الرئيس التواق للحروب،المتعجرف،المغرور، لا يعبأ بشعبه مستخدمة رمز النظارة السوداء القاتمة.

في رواية" تل اللحم" صورة ملتقطة من زاوية اخرى للشخصية"**عندما يدخل كل البيوت على عادته،فهذه المرة لن يدخل الى المطابخ ليكشف قدور الاكل ويفتح ابواب الثلاجات ويسأل ربات البيوت عما طبخن او خزن لايام الشدة .... "**[٦٠].

تلك صورة شاهدها جميع الناس" لصدام" في التلفاز وهو يدخل البيوت ويفتح القدور والثلاجات،و دلالة الصورة تختلف من شخص بحسب ما يكنه من مشاعر للرئيس؟.

إنَّ الصورة النمطية في تمظهرها الفوتوغرافي تنهض بوظيفة رئيسة وهي"التشخيص" وكشف هوية الانا ليست الشكلية فقط وانما الاجتماعية والنفسية ايضا.وتعد جزء" من منظور الراوي/المؤلف ،وكيف يرى الشخصية ويقيمها ايديولوجيا.والصورة ايضا تكشف عن أنساق القوة في المجتمع الجنوبي ومدى تأثيرها على الفرد والجماعة.

---

[٥٦]-خلف السدة/١٠٣

[٥٧]- نفسها/١١٧،وفي الرواية سرد موجز لسيرة عبد الكريم قاسم/٨٣

[٥٨]-الرواية/٢٩

[٥٩]- الرواية/٢٢، عدة روايات صدرت بعد ٢٠٠٣ ذكرت الشخصية في خطابها السردي مشيرة اليها بكراهية وانتقاد لظلمها وشعورها بالعظمة "مكنسة الجنة" ،"تل الرؤوس" و"حجاب العروس" و"حقول الخاتون" لكن الصورة الشخصية ظهرت في " الحرب في حي الطرب"،"تل اللحم

[٦٠]-تل اللحم/٨٦

ب- الصورة النمطية للفضاء الجنوبي":

إنَّ رسم إحداثيات الفضاء الروائي الذي يحتضن الشخصية جزء جوهري في إجلاء صورتها،الفضاء الروائي تكشف لنا عن الحالة الشعورية التي تعيشها الشخصية بل وقد تساهم في التحولات الداخلية التي تطرأ عليها[٦١].

بعض الباحثين تحدث عن مفهوم"تشخيص المكان"،والمقصود به السمات المشتركة بين الشخصية والمكان بكونهما يعبران عن مجموعة من الدوال الوصفية ،ومجموعة من التراكم الصوري،بالإضافة الى جزئية مهمة يتضمنها التشخيص وهي" أن تشخيص المكان في الرواية ،هو الذي يجعل من أحداثها بالنسبة للقارئ شيئا محتمل الوقوع،بمعنى يوهم بواقعيتها"[٦٢].وليس الواقع بالتحديد ما تلتقطه مجموعة السمات للشخصية والمكان وإنما تجربة النظرة التي تتراوح بين الواقعي والإحتمالي"فالصورة لا تكتفي بالتمثيل الصادق لتجربتنا،إنها تكملها،تكشف عن الكامن داخلنا"[٦٣].

صورة المكان عند "باشلار" هي وضعية نفسية تقدمها الظاهرتية المتعلقة بقصدية الوعي واتجاهه المباشر نحو موضوعه وغايتها الاختزال أو التفخيم[٦٤].

التواشج بين صورة الذات وصورة المكان مسألة تتعلق بظاهراتية الصورة بداية ومن ثم تمتد في جذورها الى الذاكرة وعملها وعلاقتها بالتحليل النفسي والكاتب يركز عنايته على التمركز المكاني البسيط لذكرياتنا"[٦٥].

ولا بد من الاشارة أن الفضاء مفهوم أشمل وأوسع من المكان،فالفضاء الذي يشيده الوصف له علاقة بالحركة الروائية المتمثلة في سيرورة الحكي مثلما له علاقة بثبوتية المكان.

غالبا ما يرتبط الأدب والفضاء بعلاقتين:الأولى تكوينية قائمة في النص مثل" فضاء اللغة،فضاء الكتابة ،فضاء التعبير"،والثانية مضمونية وهي المتمثلة في الفضاء الحيوي الذي تتحرك فيه الشخصيات".[٦٦]وإن شئنا تشبيه الفضاء بالصورة فأنه يشمل الإطار الجغرافي الذي يحيط بالشخصية،ويتضمن مجالا داخليا يستوعب الجزئيات في الكتابة الرواية.وإذا كان تحديد الإطار الجغرافي واضحا،فأن الإحاطة بالجزئيات الوصفية للفضاء هو ما يبدو امرا صعبا لان وصف الفضاء متناثرة ومتشعبة على طول النص السردي!.

---

[٦١]-ينظر بنية الشكل الروائي،حسن بحراوي/٣٠

[٦٢]-بنية النص السردي،حميد لحمداني/٦٥

[٦٣]-الصورة ،المكونات والتأويل/١٠

[٦٤]-ينظر جماليات المكان/غاستون باشلار/٢٤٢

[٦٥]-المصدر نفسه/٤٦

[٦٦]-معجم مصطلحات نقد الرواية/لطيف زيتوني١٢٧

صورة البيت الجنوبي:

من أماكن الالفة للأنسان هو"البيت" المكان الذي يولد وينشأ فيه،ركنه الأول،وكونه الحقيقي الثابت"إنَّ مكانا مغلقا يجب أن يحتفظ بذكريات ويتيح لها في الوقت ذاته الاحتفاظ بقيمتها الأساسية كصور"[٦٧].يشكل البيت مجموعة من الصور التي تعطي الإنسانية أوهام التوازن لان البيت تجسيد للمأوى والحماية "كل ركن وزاوية فيه كان مستقرا لإحلام اليقظة"[٦٨].

أحد الرواة وصف بيته" يتقدمني خلال" المجاز" القصير الذي يطل على باب" الديوخانة" المهملة منذ اعوام،واستدرنا يسارا داخلين" الحوش" حيث كانت العصافير في ذروة اعتراكها بين اغصان السدرة الهرمة،...ساعة الليوان الجدارية تدق معلنة الوقت،وقف متأملا فاغر الفم صور افراد العائلة الموتى والراحلين وهي تزين جدران الليوان".[٦٩]،.

صورة توثيقة مهمة لبيت جنوبي يعد الأن" تراثيا" لكنه كان إنموذجا للبيت المشيد منتصف القرن الماضي وبقي ماثلا لحد اللحظة في الإمكنة التراثية والفقيرة،ومكونات هذا البيت شاخصة في ذاكرة العديد من الجنوبيين" الحوش،المجاز،الليوان،الدرج"،أماكن حميمة لبيت الطفولة القديم،والراوي حدد بيته ليكون موافقا مع متوالية دلالات البحث عن مدينة "الأسلاف" في المخطوطة والمتحف والمكتبة،والبيت يمثل شخصية الراوي/المؤلف الباحث عن الحقيقة في السير الشعبية" الشفاهية" .

بيت آخر لراو مثقف" **كان في البصرة القديمة وقتها،بيت ذو طابع تأريخي،اقتسمته مع عائلة من ثلاثة افراد،واخذت طابقه العلوي ذا الشناشيل**"[٧٠].البيت ذو الشناشيل صورة مألوفة للبيت العراقي التراثي.والسؤال الذي يطرح هنا يفضل المثقف البيت التراثي على البيت الحديث؟ .

قد يكون ذلك لاسباب مادية"فقر المثقف وعوزه الدائم،اولا وأسباب فكرية تتعلق في مساهمة البيت التراثي في التفكير والتأمل والإبداع.

يصف الصحفي "امجد" بيت صاحبه"...." بأنبهار المحروم،وبمشاعر لا تخلو من الحسد" **كان الترف يجد له متسعا من أريحية راسخة في حجرة مطلة على مرج صغير، جدرانها مزججة بالزخارف وقد طليت باللونين الابيض الهادئ والازرق الدانوبي المريح للنظر،ستة مقاعد من خشب الابنوس،كلها التفت حول منضدة مغطاة بالقماش الاخضر الغامق،لون مائدة القمار.....**"[٧١]،الصحفي عتم على بيته ووصف بدقة بيت الاخر المترف الفخم،هذا الشطب لبيت الانا وإظهار لبيت الآخر"الثري والمسيطر" بيّن

---

[٦٧]- جماليات المكان/٤٤

[٦٨]-نفسه/٥٢

[٦٩]-سابع ايام الخلق/١٦

[٧٠]-مكنسة الجنة/٧٥

[٧١]-موت الاب/٢٥

حجم ما هو متراكم في لاوعي الجنوبي عن بيته الرث،تواضع البيت وافتقاره الى سبل الراحة يمثل صورة نفسية لواقع الحرمان والفقر التي يعاني منها.

الحجرة ذلك الركن من البيت الذي تألفه المرأة وتتوحد به،فحجرة المرأة حصنها وسجنها في ذات الوقت،الحجرة مكان حميم للمرأة تمارس فيه جميع طقوسها ،الأحلام،الهواجس،الزينة،اللذة،ويمكن ان تكون مكانا موحشا ان مثلت الحجرة سجنا للمرأة خلف قضبان ثقافة" الحريم"،"نوعة" اعتزلت في غرفتها احتجاجا على سلطة الرجل" **اختفت في غرفتي تغزل وتحيك الصوف،تغنيوتذبل،فأبي كان الطريقة الوحيدة والملائمة لها للوجود ومادام كذا وكيت،ومهما وإذا،فلاشئ ينفع**"[٧٢].

الجنوبيون الذين نزحوا الى بغداد بسبب شظف العيش في الأهوار والأرياف كانت بيوتهم في "العاصمة" أشد بؤسا من السابقة""**كانت مجموعة بيوت طينية محشورة في ساحة صغيرة محاطة بسياج،يطلق عليها"خان حسن والي،كان هذا الخان اشبه بجزيرة بائسة في بحر من الغنى،مجموعة بيوت بائسة محاطة بقصور فخمة يقطنها اغنياء بغداد**".[٧٣]

صورة لبيوت المهاجرين الجنوبيين الاوائل الى بغداد" الأربعينيات وما بعدها"،صورة مجسدة للبؤس والحرمان،بيوت من القصب او الطين لا تقي او تحمي من برد او هجير،الملمح الايجابي الذي فيها هو تراص البيوت وتلاحمها في منطقة صغيرة الشئ الذي اضاف احساسا بالتلاحم بين ساكنيها.

صورة الحائط الجنوبي:

يحدث أحيانا أن تستبدل صورة البيت بركن من أركانه مثل الحائط، قد تملئ تلك الصور جانبا وظيفيا في تفسير نوازع وتطلعات الجنوبي وعلاقته بالمكان الذي يعيش فيه بشكل أعمق من تصوير البيت كليا.من تلك الصور للباب والجدار"**علق على باب البيت المخلوع أصلا من احد البيوت،نعالا درءا لحسد العيون،وزين غرفة زواجه بصورة تمثل" الإمام العباس" مرميا ،مبتور الساعدين،وفرسه تقتلع النبال من عينيه.حينما تهرأت الصورة بفعل الرطوبة،ونهم الحشرات،الصق صورة للأمام علي بن ابي طالب،يشع وجهه نورا،معتمرا كوفية خضراء،تنسدل على كتفيه،بورترية الامام يستند كليا الى سيف مشطور،تحته خط خطاط كوفي مجهول" لافتى الا علي ولا سيف الا ذو الفقار**"[٧٤].

صورة الحائط تشع كثيرا على معتقدات الناس،والرموز التاريخية التي تؤثر في لا وعيهم " شخصيات الائمة،استعادة التراث والوقائع التاريخية، القتال،السيف،الفروسية،الظلم،الفداء،النخوة،الكرم" كل تلك الرموز تقدم توصيفا مكثفا للشخصية الجنوبية يفوق في بلاغته صورة الشخصية ذاتها.

---

[٧٢]-الغلامة/٨٩

[٧٣]-اعترافات رجل لا يستحي/١٢

[٧٤]-يا كوكتي/٩٢

صورة اخرى معلقة على الجدار "**بسملت وهي تتقدم في جلستها لتضاعف نور الفانوس فأنتشر الشعاع على الجدران الطينية ليتكسر وينشطر الى عشرات الاشكال المتعرجة المبهمة،غير انه كان كافيا لاضاءة صورة لشهداء واقعة كربلاء ثبتت بعجين،وأخرى كبيرة مزججة مؤطرة بشريط لاصق لإحد الائمة الاثني عشر**"[٧٥].

الدلالة الاهم في الصورتين السابقتين هي المفارقة البصرية بين قدم الحائط ورطوبته ولصق الصور بالعجين "الواقع المزري" وبين الصور التي تشير الى شجاعة وإقدام الشخصيات البطولية التاريخية" التماهي مع المثال"،فقد مثل الحائط مرآة الجنوبي من خلال توقه للبطولة والخوارق وهو في ذات مرآة لبؤسه المعلن، واحتباس روحه بمواجهة سد الجدران.

صورة المزار:

كما وصفت بعض الروايات البيت،وصفت المزار ايضا،مكان محبب لدى الجنوبيين فيه يبحثون عن أصولهم العريقة،وعن جذورهم الممتدة،ويمثل هويتهم الراسخة في المكان،فقد كانت صورة المزار حاضرة في الروايات وإن حاولت بعضها التشكيك في مصداقية تلك المزارات الموجودة في أقاصي الجنوب الا أن مجرد حضور تلك المزارات أو الإضرحة يمثل عمق رسوخها في وعي الذات.

"**مرقد"السيد نور" لم يكن أكثر من غرفة مهملة في الزاوية الجنوبية الغربية من الطبقة الارضية لعمارة المصرف بطبقاتها العديدة،كان باب الضريح مثقلا بعشرات الاقفال التي جعلتني لحظتئذ افكر في انها لم توضع لنيل مراد ما،بل من أجل إحكام إغلاق الباب،حرصا على ان يبقى ذاك الولي حبيس مرقده الى الابد**"[٧٦].تستحضر الجانب القاتم في مرأى الضريح" قدم البناء، الاهمال، الاقفال"،وذلك يشير الى موقف الراوي من المزار.

هنالك صورة ناصعة وحميمية لإحدى المزارات"**مرقد السيد جار الله الذي أصبح وسط كتلة من البيوت المزدحمة يؤدي إليه زقاق ينتهي بباب كبير مفتح دائما،على جانبيه رسوم اكف من صبغة الحناء يفضي الى فسحة ظليلة بنيت في طرفها البعيد دورة مياه وحوض وضوءيأتيه الماء من برميل الى جانبه كوز ملفوف بقماشة سوداء كتبت عليها عبارة" وسقاهم ربهم شرابا** طهورا" **داخل الكوخ كللت الدكة المستديرة بقماش اخضر ارتمت عليه كوفية ذبل لونها الاسود،وحول الدكة فرشت حصر كثيرة غطت الارض الترابية التي احتلت زوايا الاربع صناديق امتلأت بمصاحف مختلفة الاحجام. وفي كوى ضيقة مغلقة وضعت مسبحات وترب صلاة**"[٧٧].

---

[٧٥]-خلف السدة/٦

[٧٦]-سابع ايام الخلق/١٤

[٧٧]-خلف السدة/١٤

صورة مفعمة بالتفاصيل ظاهراتية الادراك غير موجه ايديولوجيا مثل سابقتها،وهي صورة فلكلورية استعادت الشكل المعماري التقليدي البسيط للمزار منها،ضرورة ارتكاز الضريح في المنتصف،رمزية الدائرة واللون الاخضر في فضاء المزار،دلالة الماء التكرارية" الحوض،الكوز،دورةالمياه"،الصورة تمثل حالة تأمل في علامات المزار وانعكاسها على وعي الشخصية بالمعتقدات والمكان والذاكرة.

صورة الحي والمدينة الجنوبية:

تشكل صورة الحي والمدينة أولوية لدى الروائيين عندما يشرعون في وصف المكان، لان الحي يظهر الأنا الجمعية للشخصيات وليست الذاتية كما هو البيت فيكون فضاء الخطاب الروائي أرحب واشمل ،العديد من الصور لاماكن عاشت فيها الشخصيات وأخرى تأثر بها الراوي فصور فضائها عن قرب،ومن تلك الصور للحي الجنوبي.بعض الاحياء الفقيرة تعد تجمعات لاثنيات محددة،" **بين شارع بغداد والشارع الذي يفصل بين محلتي السرية والمحمودية تقاسمت العوائل الفقيرة الخربات والبيوت ذات الغرف الكثيرة عوائل كردية فقيرة سكنت غرف هذه البيوت**"[٧٨]، لا تنفك صورة الحي عن مرافقة صورة من يعيش فيه،والبيوت كذلك.

أما الصابئة في مدينة العمارة فيسكنون" **محلة السرية،حيث عاشت اغلبية الطبقة المتوسطة من الصابئة ،لان أبناء الطبقة الأخرى من طائفتهم،من الحرفيين، صناع القوارب والأدوات الزراعية اليدوية سكنوا الى جوار النهر في الطرف الآخر من عماريا،أطلق عليها لاحقا،محلة الماجدية**"[٧٩].

صورة لمدينة النجف في بدايات القرن العشرين" **سار وهو منجذب الى حركة الناس في الاسواق،وعربات الخيول وصياح الباعة،كان يسير باتجاه القبة الذهبية للأمامعلي بن ابي طالب،فتسحره الدكاكين وابوابها الخشبية والزخارف المرسومة عليها ومنائر الجوامع.وقبل ان يدخل الى القبر مر بشارع" الحويش" فجذبته دكاكين الخطاطين والنساخين والمكتبات،شاهد بعض المعممين يحملون كتبا كثيرة،واخرين يتصفحون مجلدات كبيرة عند واجهة الدكاكين**"[٨٠]

صورة لمدينة السماوة منتصف القرن العشرين"**السماوة بلدة صغيرة بها ثقوب كثيرة وكبيرة،مراهقون يقطعون الطرقات مساء"،نشالون يتبادلون البضائع كالتحيات بعيون ضيقة وشوارب فخمة،قوادون لا يتراجعون اذا ما بدأ الظلام يتظاهرون أنهم غرباء حضروا للبحث عن نزل زهيد الثمن....تجار وكتبة وأعضاء في أحزاب يحبسون انفاسهم وهو يختفون وسط الخان الكبير او وراء المقبرة في أثناء التحضير للمظاهرات، نسوان مكروبات،وحيدات، معطرات بالمسك،بدويات يظهرن نصف**

[٧٨]-المقطورة/٣٩
[٧٩]-ملائكة الجنوب/٢٨
[٨٠]-حجاب العروس/٢٤

ابدانهن وهن يبعن الخضار والفواكه،وغجريات كالافاعي المريشة يطلعن من الفرات في اوقات المد فتبدأ التربة بالتشقق والانحسار"[٨١].

في الثمانينيات، عند استعار الحرب، ما الذي يستحضره الجندي في مخيلته من صور المدينة؟ سوى الكراجات"**يتذكر الكراجات المملوءة بالجنود واضواء اللوكساتوالنيونات وباعة الكراجات،والركض المتواصل بعد منتصف الليل للحصول على مقعد في سيارة ذاهبة الى محافظة حدودية،ومطر الشتاء يسقط بغزارة،وبرد الليل الذي لا يرحم،وادخنة السجائر وباعة الشاي وقطارات الليل المملوءة والوجوه والملابس الخاكية**".[٨٢]

صورة للجسر الرئيسي في الناصرية بعد قصفه١"**دخان اسمنتي يغطي فضاء الجسر الطويل في الضاحية الشرقية للمدينة ...تعرض الجسر الاسمنتي الى ضربة مدمرة في منتصفه تماما،أسقطت نصفه وفككت كتل الخرسانة والحديد،ولم يبق من الجسر في مكان الضربة سوى ممر صغير لايسمح بعبور المشاة إلا فرادى مثل سير لاعب سيرك على حبل مشدود**"[٨٣].

جسور المدن تنقسم الى عالمين،عالم الفوق الواضح للعيان،وعالم آخر هو عالم الأسفل،عالم الشواذ والسكارى والمجانين،هناك جنوب آخر يقبع تحت الجسر أو ان وجه الشؤم الحقيقي للمدينة هو القابع تحت الجسر!.

" **اتسلل احيانا تحت الجسور،أنام وتوقظني أضواء السيارات في الشارعين الذين يربطهما الجسر،.....يحظى بي بعض الشباب النازلين تحت الجسر،فأعرف اني زاحمتهم على مكان مشربهم، كان احد مجانين العشار يستحم من انبوب مياه ينحدر من مياه الشط القريبة من اسفل الجسر،الرجل مسن ايضا،وعاريات ماما،التفت يمنة فوجدت اخر عار ايضا،....خجلت من الخروج من ذلك المكان**"[٨٤].

صورة المدينة التي بنيت للنازحين الجنوبيين لا تختلف عن صورة المدن الجنوبية المنكوبة وتسميتها ب"المدينة" هو نوع من مفارقة ساخرة او المجاز الذهني !."

" **كانت مدينتا المأهولة بالطين تمتلئ بروائح المزابل وروث الخيل وثغاء الاغنام ونداءات بائعي الملح والمجانين،ثمة صخب لا يمكن ان ينتهي ،تظل الامهات صاحبات للصراخ ويظل الاولاد يلعبون وسط برك الفوضى الاسنة،فيما تنزوي البنات عند زوايا الغرف القصية**".[٨٥]

صورة البيئة المناخية:

---

[٨١]-الغلامة/٩٠
[٨٢]-اقصى الجنوب/٥٩
[٨٣]-يوم حرق العنقاء/٥٠
[٨٤]-مكنسة الجنة/٨٣
[٨٥]-شروكية/٤٦

مثلما تضفي الامكنة على الأنا صورتها وسماتها،وتعيد تشكيل ما لم يكتمل منها،فأن صورة الانا لن تكتمل الا بالبيئة الطبيعة وهي "تشكل المجال الحيوي على سطح الأرض والمحددة بنقاط التماس بين الغلاف الجوي كالتضاريس والتربة والمناخ والمسطحات المائية"[٨٦]، وبما أن البيئة تشمل كل ما يحيط بالإنسان ضمن الغلاف الجوي فأن المكان يعد جزء حيويا منها،والجزء المهم الاخر هو المناخ،ومن الثابت أن المناخ يطبع ملامح الوجه بطبائع تميز الأجناس البشرية، وهي التي تصهر روح الشعوب، ذلك ما حدا بأحد العلماء" فيكتور كوزين" للقول "أعطوني جغرافية بلد معين،ومناخه ومياهه ،والرياح التي تهب فيه،وكل ما يحيط بجغرافيته الطبيعية،اعطوني محاصيله،نباتاته ،وحيواناته فأقول لكم من هو انسان هذا البلد والدور التاريخي الذي سيؤديه"[٨٧].

بدأ الروائيون تلمس أهمية الاجواء المناخية في تشكيل الفضاء الجنوبي،خاصة الروائيين البصريين لما يتميز به مناخ البصرة من تطرف شديد يترك أثره في أشهر الصيف اللاهبة على التنفس والبصر والجلد والاحساس والشعور ،رواية المنفى"ياكوكتي" اهتمت بصورة البيئة" الشمس والبحر والشمس والرطوبة وتأثيرهما على الشخصية والحيوات المختلفة" **جو خانق من بخار صمغي ،لم تطقه النوارس فهاجت في الفضاء،نافضة عن ريشها الندى،والسرطانات الصغيرة التي اغوتها النتن،خرجت من ثقوب الصخور،واغوار الطين الى المسناة،حتىالشارع،بحذر....لاح اسفلت الشارع وكأنه مغسول بمطر هطل غزيرا لفترة،بللالجمادات،والهواء واعطى الاشياء لون ورائحة الخشب العتيق**".[٨٨]،حالة الاختناق بسبب عوامل الجو قد تكون صورة استعارية لاختناق الافق السياسي والاجتماعي.

" **الشرجي يأتي بالكوابيس،بأحلام الماء المرعبة،يدخل السمكات عبر الانوف،او يغرق الاجساد في البحار المظلمات،فتلتهم القلوب الكواسجوالحيتان،ضيق،ضيق يجثم على الصدر،يرمضها**".[٨٩]. **يكون**وصف المناخ احيانا مستيجبا للغة شعرية فأنسياب البيئة في دواخل الشخصية انسيابا لا مرئيا يشعر به ولا يتمثل.

البيئة المائية في الاهوار لها صور مميزة والتي تتناغم مع طقوس الجنوبيين ومعتقداتهم"**الحقول الغاطسة في زرقة الماء المسودة والتي تناوبت في الابتعاد تحت كثافة الفجر الذي علته غيمة من ضباب كثيف،تخلل اعمدة النخل واحكم انتشاره على اشجار الغرب والنبق والصفصاف وقطعان النخيل،ولاح لمن رآه عبر ضفة الشط الثانية،كما لو انه بقايا رماد ليلة فائتة،وبدت القرية تتفكك**

[٨٦]-الانسان والجغرافيا/كريستين نصار/٢٠
[٨٧]-نفسه/٢٤
[٨٨]-يا كوكتي/٢٩
[٨٩]-نفسها/٦١

وتنفصل صرائفها واكواخها وتتغير مواقع حقولها كلما جذف الرجلان بمشحوفهما الصغير تحت ظل وقت مبكر انبجس من جمرة ليلة ساخنة هيجت مواجع كثيرة".[٩٠]

صورة اخرى للأكواخ وسط المياه" **الاشكال الهندسية التي خلفها تقاطع القصب مع بعضه شكل تأطرت للضوء الذي ينسكب ليسفر عما في خارج البيت الرابض على مرتفع كسفينة راسية على جروف مستعمرة المياه ومن خلال هذه الاشكال يبدو الهور ببرديه وسطح مائه الذي يحدث صوتا منغما ما ان يقع في مياهه شئ".**[٩١]

اذا كانت الصورة النمطية الشخصية وظيفتها الرئيسة هي "التشخيص" فأن صورة الفضاء تعمل ضمن الحقل الانثربولوجي للمجتمع في تحديد الطبيعة الاثنوغرافية للأشخاص"طوائف،قوميات،ديانات".كما وان الفضاء يقدم صورة واضحة لفلكلور الجماعة الاجتماعية"عاداتوممارسات،طقوسواحتفالات،اغاني ورقصات".

ان الصورة السردية المتناصة مع الثقافة البصرية في ابعادها المجالية والاطارية تفتح ابواب التأويل للخطاب الروائي على مصراعيه في اكتشاف هوية الانا السردية للشخصيات وقراءة الانثربولوجيا

خاتمة:

لا حدود لعوالم الصورة المرئية فنيا وجماليا وافاق تأويلها هي الاخرى تعدد بتعدد علامات الصورة ورمزيتها،وقد اثبت الخطاب السردي قدرته المميزة بواسطة الوصف والسرد على مجاراة الفنون البصرية والتشكيلية في التصوير من خلال تفجير طاقات اللغة الكامنة في الحس.

ان الصورة النمطية الثابتة ذات المحمول الايقوني مجال خصب لدراسة الشخصية السردية وعلاقتها بالاصلالجغرافي،لما تتضلع به من وظائف متعددة تبدأ من رسم الصورة الشخصية والمكان" التشخيص الفردي" مرورا بالشخصية الاجتماعية والتي تتضمن سلوكيات الشخصية،العادات والتقاليد ،وليس انتهاء بدراسة الانثربولوجيا الثقافية والتي تتضمن دراسة الممارسات والطقوس والشعائر للجماعات الاثنية" الدينية والقومية" والعلاقات بين هذه الجماعات وتدرس انظمة السلطة والقوة التي تهيمن على تلك المجتمعات،وتبقى الوظيفة الجمالية والامتاعية هي الركيزة الثابتة للصورة النمطية.

[٩٠]-مولد غراب/٧
[٩١]-مستعمرة المياه/٧٧

اولا:الروايات

- اشواق طائر الليل،مهدي عيسى الصقر،دار الشؤون الثقافية العامة،الطبعة الاولى،١٩٩٥
- اعترافات رجل لا يستحي،سليممطر،مركز دراسات الامة العراقية،ميزوبوتاميا،جنيف–بغداد،الطبعة الاولى،٢٠٠٨
- اقصى الجنوب،فيصل عبد الحسن،دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد،الطبعة الاولى،١٩٨٩
- ايوب،هشام توفيق الركابي،دار الشؤون الثقافية العامة،الطبعة الاولى،٢٠٠
- تل اللحم،نجموالي،دارميريت للنشر والتوزيع،القاهرة،الطبعة الثانية،٢٠٠٥
- –جدد موته مرتين،حميدالربيعي،دار فضاءات للنشر،عمان،الاردن،الطبعة الاولى،٢٠١٢
- حجاب العروس،محمدالحمراني،دار المدى للثقافة والنشر،الطبعة الاولى،٢٠٠٨
- الحرب في حي الطرب،نجموالي،دار صحارى للنشر والتوزيع،بودابست،الطبعة الاولى،١٩٩٣
- –خلف السدة،عبد الله صخي،دار المدى للثقافة والنشر،الطبعة الاولى،٢٠٠٨
- رياح شرقية رياح غربية،مهدي عيسى الصقر،دار عشتار للنشر والتوزيع القاهرة،الطبعة الاولى ١٩٩٨،
- سابع ايام الخلق،عبد الخالق الركابي،دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد،الطبعة الاولى،١٩٩٤
- شروكية،شوقيكريم،الناشر شوقي كريم،بغداد،٢٠٠٩
- الصليب"حلب بن غريبة"،فهدالاسدي،منشورات اتحاد الادباء والكتاب في العراق بالتعاون مع دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد،الطبعة الاولى،٢٠٠٨
- الغبش،شاكرالمياح،دار الينابيع للنشر،سوريا، دمشق ،الطبعة الاولى،٢٠١٠
- الغلامة،عاليةممدوح،دار الساقي للنشر،بيروت،الطبعة الاولى ،٢٠٠٠
- كراسة كانون،محمدخضير،دار الشؤون الثقافية العامة،الطبعة الاولى،٢٠٠١
- مستعمرة المياه،جاسمعاصي،دار الشؤون الثقافية العامة،الطبعة الاولى،٢٠٠٤
- المقطورة،محمد شاكر السبع،دار الشؤون الثقافية العامة،الطبعة الاولى،١٩٩٥
- مكنسة الجنة،مرتضىكزار،دارازمنة،عمان، الطبعة الاولى،٢٠٠٨
- ملائكة الجنوب،نجموالي،دار المدى للثقافة والنشر،الطبعة الاولى٢٠٠٨

- مولد غراب،وارد بدر السالم،دار الشؤون الثقافية العامة،الطبعة الاولى،٢٠٠١
- يا كوكتي،جنان ناصر حلاوي،رياض الريس للنشر والتوزيع،لندن–قبرص،الطبعة الاولى،١٩٩١
- يوم حرق العنقاء،محسنالخفاجي،دار الشؤون الثقافية العامة،الطبعة الاولى،٢٠٠٠

المصادر والمراجع

–اثر الشخصية في الرواية،فانسون جوف،ت:لحسنلحمامة،دارالتكوين،دمشق،الطبعة الاولى،٢٠١٢

–الاشهار والصورة،صورةالاشهار ،دافيدفيكتروف،ت سعيد بنكراد،منشوراتضفاف،منشوراتالاختلاف،الطبعة الاولى ١٤٣٦–٢٠١٥

–بنية الشكل الروائي،حسنبحراوي،المركز الثقافي العربي،الدارالبيضاء،المغرب،الطبعة الاولى،١٩٩٠

–بنية النص السردي من منظور النقد الادبي،حميدلحمداني،بيروت،لبنان،الطبعة الثانية،١٩٩٣

–جماليات المكان،جاستونباشلار ،ت:غالبهلسا،وزارة الثقافة والاعلام،العراق،١٩٨٢

–حياة الصورة وموتها،ريجيسدوبري،ت فريد الزاهي،دار المأمون للترجمة والنشر ،الطبعة الاولى،٢٠٠٧

– سوسيولوجياالمثقفين،جيرارليكرك،ت:جورج كتورة، دار الكتاب الجديد المتحدة،بيروت،الطبعة الاولى،٢٠٠٨

–الشخصية في ادب جبرا ابراهيم جبرا،فاطمةبدر ،دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد،٢٠١٢

–الصورة السردية في الرواية والقصة والسينما،شرف الدين ماجدولين،الدار العربية للعلوم ناشرون،منشوراتالاختلاف،الطبعة الاولى ١٤٣١–٢٠١٠

–الصورة المكونات والتأويل،غيغويتي،ترجمة وتقديم سعيد بنكراد،المركز الثقافي العربي،الدارالبيضاء،المغرب،الطبعة الاولى،٢٠١٢

–قراءة الصورة وصورة القراءة،صلاحفضل،دارالشروق،القاهرة،الطبعة الاولى،١٩٩٧

-معجم السيميائيات،فيصلالاحمر،الدار العربية للعلوم ناشرون،منشوراتالاختلاف،الطبعة الاولى١٤٣١-٢٠١٠

-موسوعة علم الاجتماع،جوردنمارشال،مراجعة وتقديم، محمد الجوهري،المركز القومي للترجمة،القاهرة،١٩٩٧،المجلد الثاني

الدوريات:

-مجلة فصول،الهيئة المصرية العامة للكتاب،ملف"الصورة عالم الاشياء ام عالم الصور"،العدد ٦٢،ربيع وصيف ٢٠٠٣